# سورة الروم

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾

**غُلِبَتِ الرُّومُ** : قهرت فارس الروم .

**أَدْنَى الأَرْضِ** : أقرب أرض الروم إلى فارس .

**غَلَبِهِمْ** : كونهم مغلوبين .

**وَأَجَلٍ مُّسَمًّى** : وقت مقدر أزلاً لبقائها .

عند ظهور الإسلام كانت هناك إمبراطوريتان عظيمتان في العالم ؛ تعرف إحداهما بالإمبراطورية الرومانية المسيحية ، والأخرى بالإمبراطورية الفارسية المجوسية ، وقد كان بينهما عداء مستحكم وتنافس شديد من أجل السيطرة والتوسع ، وقد أغار الفرس في عام ٦٠٣ الميلادي على الإمبراطورية الرومانية مستغلين بعض مواطن ضعفها ، فأنزلوا بجيوشها هزائم متتالية ؛ مكنتهم من الاستيلاء حتى عام ٦١٦م على جزءٍ كبيرٍ من المناطق الشرقية الخاضعة لدولة الرومان بما فيه القدس .

وقد نال رسول الله – ﷺ – النبوة عام ٦١٠ الميلادي ، وقام على إثر ذلك ، بدعوة

التوحيد في قلب الجزيرة العربية ، وعلى هذا فقد كانت تلك الأحداث متزامنةً مع الصراع بين التوحيد والشرك الذي كان يدور في مكة المكرمة حينذاك ، وتفاؤلاً بما جرى على حدود الجزيرة ، راح مشركو مكة يقولون للمسلمين : لقد هزم إخواننا الوثنيون (المجوس) إخوانكم من أهل الكتاب (المسيحيين) ، وكذلك سوف نقضي بدورنا عليكم وعلى دينكم الجديد!!

وفي ذلك الوقت ، وعلى النقيض تماماً من مؤشرات الأحوال القائمة ، تنبأ القرآن الكريم قائلاً بأن الروم سيغلبون الفرس مرةً أخرى في أقل من عشر سنواتٍ ، وفي أعقاب ذلك - كما يقول المؤرخون الروم - سرعان ما أخذ تغير مفاجئ يظهر في شخصية هرقل الملك الرومي المهزوم الفاقد العزيمة - على نحوٍ غامضٍ ، إلى أن شنَّ هجوماً معاكساً على الفرس في عام ٦٢٣م ، وأحرز عليهم انتصاراً حاسماً في عام ٦٢٤م ، ولم يكد ينتهي عام ٦٢٧ الميلادي، حتى كان قد استرد كل الأراضي الرومية المحتلة من قبضة الفرس ، وبذلك تحققت النبوءة القرآنية بكاملها حرفاً حرفاً .

ومن هذا يثبت أن مؤلف القرآن - إن صح التعبير - هو الله ؛ إذْ ليس ثمة من أحدٍ، غير الله - سبحانه وتعالى - يمكنه أن يخبر عن شئون المستقبل إخباراً يتسم بهذا القدر من الصحة والضبط !

كما يدل هذا الواقع على أن النصر والهزيمة بيد الله وحده ، فبقضائه تعالى يحصل أحد الناس على السلطة ، وينتزع زمامها من يد الآخر، وإن سقوط أمةٍ وصعود أخرى حدث دنيوي في ظاهر الأمر ، غير أن لهذا الظاهر باطناً،فوراء كل الأحداث تكون ملائكة الله يعملون بطريقةٍ مؤثرةٍ وحاسمةٍ،وإن كانت العيون البشرية لا تستطيع رؤيتهم،وهكذا فإن لهذا العالم الظاهري هو الآخر باطناً،ألا وهو عالم الآخرة !!

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

**وَأَثَارُوا الأَرْضَ** : حرثوها وقلبوها للزراعة .

**السُّوأَى** : العقوبة المتناهية في السوء (النار) .

إن الله – سبحانه وتعالى – إنما يُدرك على مستوى الذكر والفكر ، أي أن المرء يصل إلى الله عن طريق التدبر والتفكر ، ولقد بثّ الله دلائله في أرجاء هذا الوجود ؛ حيث أودعها في الإنسان ذاته ، ثم في آفاق الكون الخارجي المحيط به ، وأخيراً في تعاليم الأنبياء والمرسلين ، وإنه لن يظفر بالله سبحانه إلا الذين يقفون عند هذه الآيات الإلهية، وينظرون إليها بعين التأمل والاعتبار ، فالدليل ممثل الله في عالمنا الراهن ، فلو أهمل شخص دليلاً عُرض عليه ، فكأنما أهمل الله نفسه ، وإنه ليس لأمثال هذا عند الله شيء سوى الحرمان الأبدي!!

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ: تنقطع حجتهم . أو ييأسون .

يُحْبَرُونَ: يسرون . أو يكرمون .

فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ: لا يغيبون عنه أبداً

وَحِينَ تُظْهِرُونَ: تدخلون في وقت الظهيرة .

إن وجود عالمٍ كاملٍ متكاملٍ – كعالمنا هذا الذي نعيش في رحابه – برهان قاطع على الخلق الأول ، فإذا أمكن الخلق الأول فعلاً ، تُرى ، ماذا سيجعل الخلق الثاني مستحيل الوقوع ؟! بل الحق أن مَنْ ينكر الآخرة وهو يقر بالعالم الراهن ، فإنما ينكر مقتضى حتمياً لما هو مقر به بالفعل ، وعليه فإنه يعاني من التناقض مع ذاته من حيث يشعر أو لا يشعر .

والمراد بـ "المجرمين" أولئك الكبار الذين تزعّموا مسيرة إنكار الحق ، وقاموا بحشد الأدلة المفتعلة لإنكار الحق ، وحين يتغير نظام الكون ، عند قيام الساعة ، فسيرى هؤلاء المجرمون فجأةً أن كل تلك الدعائم كانت باطلة تماماً ، التي كانوا مرتكزين عليها في ثقة واعتزازٍ ، وأن الألفاظ التي كانوا يعتبرونها دلائل لا تُدحض في صالح موقفهم ، إذا بها صارت كلها هباءً ، لا تزن شيئاً في ميزان الحق ، وعندما يصادف القوم هناك هذا الوضع المناقض كلياً لآمالهم وأمنياتهم الحالمة ، فسوف يتملكهم ذهول ودهشة لا يوصفان!!

والناس في ساحة المحشر يوزعون على صنفين : المسبّحين بحمد الله ، وآخرين مُلئت حياتهم بكل شيءٍ عدا الحمد والتسبيح لله رب العالمين ، والمسبّحون بحمد الله هم الذين أدركوا الله بحيث أمسى ذكره تعالى يجري من أنفسهم مجرى الدماء في

عروقهم ، ويستقر شعور حي متجدّد بعظمته وجلاله في أعماق أفئدتهم ، فلا تكلّ عقولهم عن إدمان التأمل والتفكير في آلائه ، ولا تمل ألسنتهم من دوام التحدث بفضله ونعمائه ، والصلوات الخمس ما هي إلا أحد الأشكال المعينة لممارسة هذا التحميد والتسبيح ، فالمقصود بالتسبيح وقت الصباح هو صلاة الفجر ، بينما يشمل تسبيح المساء صلاتي المغرب والعشاء الآخرة ، أما التسبيح عند الدخول في الظهيرة فالمراد به صلاة الظهر ، وأما التسبيح عشياً (أي في آخر النهار) فالمراد به صلاة العصر !

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

تَنتَشِرُونَ: تتصرفون في شؤون معيشتكم .

لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا : لتميلوا إليها وتألفوها .

إن عالمنا الراهن يزخر بوقائع شتى كثيرة تدعو إلى الدهشة والاستغراب، ومنها تحول شيءٍ إلى شيءٍ آخر ، إذ تتحول هنا المادة غير القابلة للنمو إلى مادةٍ قابلةٍ للنمو ، كما يتحول التراب الجامد الهامد ، إلى شكل إنسانٍ يمشي ويتكلم ! كما أن كل هذا يحدث على نحوٍ هادفٍ حكيم، وعلى سبيل المثال حين يمر "التراب" بشتى الأطوار والمراحل، لكي يستحيل إنساناً ، فيصب نصفه تقريباً في قالب الرجل ، والنصف المتبقي في قالب المرأة ، وإلى هذا التقسيم يرجع الفضل في بقاء النوع البشري واستمرار الحضارة الإنسانية منذ آلاف السنين ، إن هذا التحول العجيب ، والذي يخضع لنظام ضبطٍ وتنسيقٍ دقيق ، لا يمكن أن يقع إلا إذا أقررنا بوجود إلهٍ قادرٍ مطلق القدرة يتصرف

وراءه !!

الحقيقة هي أن المرء لو تأمل في خلق الله ، لبدا له كأن الله يتجلى في كل شيءٍ ، وكأنه تعالى يشرف بوجهه الكريم من خلال كل شيءٍ !!

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

الكون ، بكل موجوداته آية الله ، فإنشاؤه من العدم يشهد بقدرة الله على الإبداع، والتنوع الهائل في المخلوقات يدل على اتساع قدرة الله إلى غير نهايةٍ ، وكون الأشياء على أتم درجةٍ من الحكمة والمعنوية يعكس اتصاف الله باللطف والرحمة ، ووجود أشياء مدمرةٍ كصاعقة الرعد والبرق يعرفنا بالله بوصفه عزيزاً ذا انتقامٍ ، واستحالة الأرض ، بعد تعرضها مدةً تطول أو تقصر لليبس والجفاف ، ناضرةً خضراء من جديد ، تشير إلى إمكان الخلق الثاني (البعث بعد الموت) .

كل هذه آيات الله ، غير أنها آيات لأولئك وحدهم الذين يصغون إلى نداء الكون الصامت ، والذين يستعملون عقلهم وعملهم في الاتجاه الصحيح !

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

لَهُ قَانِتُونَ: مطيعون منقادون لإرادته .

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى : الوصف الأعلى في الكمال والجلال

إن نظام الأرض والشمس والكواكب والنجوم البديع في هذا الفضاء اللانهائي ، واقعة فذة ومدهشة، لدرجة أنه دليل صارخ في ذاته بأنه لم يقم إلا بقدرة "قيومٍ" ، وأنه لا يسير هكذا في غاية الانضباط والدقة إلا بقوة مسيّر ، ولو فارقه هذا الإشراف والدعم الخارجي المتواصل لمجرد لحظةٍ واحدةٍ ، لعم الكون كله فساد واختلال وفوضى ، إن طائرةً عاديةً في هذا العالم لا تلبث أن تتعرض للانفجار والعطب عندما تفلت من سيطرة الطيار عليها ، فكيف يُتصور إذن أن يسير هذا المصنع الكوني الهائل بدون أي مسيطرٍ أو ضابطٍ يشرف عليه ليل نهار!!

إن إعادة خلق الإنسان من جديدٍ بعد موته ، لأمر أيسر وأكثر سهولةً على خالق الكون ؛ بالنظر إلى آثار قدرته المتجلّية في أرجاء هذا الوجود ، وإن التسليم بالخلق الثاني، بعد مشاهدة الخلق الأول الذي يتم عرضه في هذا الكون كل حينٍ وآنٍ ، هو بمثابة التسليم بأمرٍ ثابتٍ لا يحتاج إلى مزيد برهانٍ ، حيث إن الكون زاخر بمظاهر قدرة الله وآيات حكمته الباهرة على مستوىً أعلى، ليس من المستبعد معه أن يُنسب إلى الله -جل وعلا - أي عملٍ إبداعيٍ يمكن تخيله أو هو يخرج عن نطاق الخيال البشري ؛ فإنما أمره تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون!!

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن

يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

إن هناك من الأموال والعقارات ما يشترك فيه أكثر من رجلٍ ؛ وبالتالي يكون كل واحدٍ من الشركاء ملزماً بأن يراعي فيه حق الشريك الآخر ، أما أمر الله - سبحانه وتعالى - فإنه ليس من هذا القبيل ، إذْ أنه تعالى هو وحده مالك الكون كله بلا منازعٍ ولا شريك ، والمثال الصحيح لله هو مثال السيد والمملوك ، دون مثال الشركاء العديدين في مالٍ أو عقارٍ ، حيث توجد بين الله ومخلوقاته على نطاقٍ أوسع وأشمل النسبة نفسها التي نراها بين سيدٍ ومملوكٍ ، وكما لا يعطي السيد لمملوكه أو خادمه درجةً مساويةً مع نفسه هو ، كذلك ليس في الكون أحد يمكنه أن يرقى إلى مستوى الله أو ينافسه في ملكوته الأعلى، فإن إلى جانب الله السيادة المطلقة من غير ندٍ ولا شريكٍ ، بينما ليس إلى جانب الخلق كله سوى العبودية والمحكومية!!

وخضوع الموجودات كافةً للأنظمة التي فرضها عليها الخالق المبدع ، يدلنا على أن النسبة الصحيحة بين الله وخلقه هي نسبة السيد المختار على عبده الذليل ، وكل نسبةٍ أخرى سواها ستكون قائمةً على أساس فرضية إنسانية محضةٍ ، لا على أساس أي دليلٍ واقعيٍ!

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

**فَأَقِمْ وَجْهَكَ** : قومه وعدله .

**لِلدِّينِ** : دين التوحيد والإسلام .

**حَنِيفًا** : مائلا إليه مستقيما عليه .

**فِطْرَةَ الله** : الزموها وهي دين الإسلام .

**فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**: جبلهم وطبعهم عليها.

**لِخَلْقِ اللهِ** : لدينه الذي فطرهم عليه .

**ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ** : المستقيم الذي لا عوج فيه .

**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ** : راجعين إليه بالتوبة والإخلاص .

**وَكَانُوا شِيَعًا** : فرقا مختلفة الأهواء .

الدين الحقيقي واحد ، وإنه قد نزل بشكله الكامل على كل نبيٍ من الأنبياء ، وهو يُلخص في : الرجوع إلى الله الواحد ، وعبادة الله الواحد ، والتوجه الكلي إلى الله الواحد دون سواه ، هذا هو دين الفطرة ، وهذا الدين كامن في نفسية كل إنسانٍ بصورةٍ أبديةٍ ، وقد جاء الأنبياء قاطبة لتعليم البشر هذا الدين الواحد نفسه ليس غير ، ولكن الأجيال اللاحقة بأتباعهم الأولين لم تلبث أن حوّلت الدين الواحد إلى أديانٍ متعددةٍ ، وتعدّد الأديان والمذاهب ينشأ دوما عن تلك المباحث الإضافية التي يخترعها الناس على مر الأيام في تعاليم الأنبياء الأساسية ، كاختلاق تفريعات مستحدثة في العقائد ، وابتداع المسائل والآداب المزعومة في العبادات ، وإلباس الدين ثوب تفسيراتٍ جديدةٍ مجاراة للاتجاهات العصرية السائدة .. إلخ.

تلك هي الأشياء التي تجعل من الدين الواحد أدياناً في القرون المتأخرة ، وحين تتولد هذه الإضافات ، تعود هي ذاتها محور اهتمام الناس بدلاً من الدين الحقيقي ، مما يؤدي إلى التفريق والتحزّب على أساس إضافةٍ معينةٍ أو مجموعةٍ معينةٍ من تلك الإضافات ، بحيث تأخذ طائفة منهم تؤكد على هذه ، وأخرى تركز على تلك ، وهكذا

يصل الأمر في نهاية المطاف أن الأمة الواحدة (أتباع الدين الواحد) تنقسم على نفسها ، فإذا بها تتحول عملياً إلى فرقٍ وأحزابٍ دينيةٍ شتى ، وكل حزبٍ بما لديهم فرحون!

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

**سُلْطَانًا** : كتابا أو حجة .

يجد المرء نفسه في ظل الأحوال العادية مختاراً حرّ التصرف ، مما يجعله يطغى ويتفرعن في تلك الأحوال بلا حدودٍ .. وأما حين تُشعره الظروف الحرجة الدقيقة بمدى عجزه وضعفه، فعندئذٍ يرتفع عن ذهنه كل حجابٍ ، وبالتالي يرجع الإنسان إلى حجمه الحقيقي كما هو ، وعندها يأخذ ينادي الله في ضراعةٍ وخشوع معترفاً بعجزه وقلة حيلته .

وإن هذا لدليل نفسي على وحدانية الله ، فهكذا يُكشف للإنسان عن وجه الحقيقة ، لكي يراه من خلال تجربته الذاتية ، غير أن المرء ظلوم جهول لدرجة أنه حين تتغير الظروف والأحوال ، يعود سيرته الأولى من التمرد والغفلة والطغيان !

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾

**فَرِحُوا بِهَا** : بطروا وأسروا .

**هُمْ يَقْنَطُونَ**: ييأسون من رحمة الله .

**وَيَقْدِرُ** : يضيقه على من يشاء لحكمة .

**رِّبًا** : هو الربا المحرم المعروف .

**لِّيَرْبُوَ** : ليزيد ذلك الربا .

**فَلاَ يَرْبُو** : فلا يزكوا ولا يبارك فيه .

**الْمُضْعِفُونَ** : ذوو الأضعاف من الحسنات .

إن المؤمن يعد كل ما يصيبه في هذه الدنيا من الراحة أو البلاء من عند الله تعالى ، ولذا فهو يتوجه إلى الله في كلتا الحالتين ؛ شاكراً عند الراحة ، وصابراً عند البلاء والمحنة.

أما غير المؤمن فإنه يضع ثقته في نفسه ، مما يجعله يمرح ويتغطرس في أحوال الرخاء والعافية ، وعندما يشعر بأن قواه قد شُلّت ، ولم يعد لديه الآن حول ولا حيلة ، فلا يلبث أن يقع فريسة اليأس والقنوط ، لكونه يحس أنه قد بلغ حده الأقصى! وكأنما هذه شهادة الفطرة تدلنا على أن الاتجاه الأول هو الاتجاه الحقيقي ، وأن الاتجاه الأخير غير حقيقي .

ومن أمارات المؤمن أنه يبذل ماله ابتغاء مرضاة الله ، حيث إنه يخصص جزءاً من أمواله أيضاً لغيره من الفقراء والمحتاجين ؛ بغض النظر عما إذا كانت تربطه بهم صلة القرابة أم لا .. وإنما هو ينفق ماله لكسب أرباح الآخرة ، وليس لمجرد كسب الأرباح

الدنيوية وحدها كما هو شأن المرابين (آكلي الربا) !

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

إن خلق الإنسان أولاً ، وتوفير ما يحتاج إليه من القوت اليومي صباح مساء ثانياً ، ثم تعرضه للموت أخيراً ، كل هذه وقائع عظيمة لدرجة أن إحداثها يتطلب القوة الكونية ، وليس هناك أي موجودٍ مفترضٍ ، عدا خالق الكون ، يتمتع بمثل هذه القوة الكونية الجبارة ، والحقيقة هي أن التوحيد يحمل معه دليل صدقه ، والشرك يحمل معه دليل بطلانه .

إن مركز توجهات الجميع يكون واحداً ، فيما لو اتخذ كل إنسانٍ من الله الواحد الأحد إلهه ، الأمر الذي يتسبب في إيجاد مناخٍ من الوحدة والإخاء بين البشر ، وأما حين تُتخذ آلهة شتى من دون الله ، فإن أشياء كثيرة لا تُحصى تصبح مركز التوجه ومحور الاهتمام، مما يولد العناد والاختلاف والفرقة بين الأفراد والشعوب، وبالتالي يمتلئ البر والبحر والجو بالشر والفساد!

إن عاقبة انحراف الإنسان، وإن كانت ستواجهه في صورتها الكاملة الأبدية بعد الموت، إلا أنها قد يتم إظهارها، بصفةٍ جزئيةٍ مؤقتةٍ ، في هذه الدنيا ذاتها لكي تكون عبرةً وذكرى للناس!

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ

يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

لِلدِّينِ القَيِّمِ : المستقيم (دين الإسلام) .

لاَّ مَرَدَّ لَهُ : لا يقدر أحد على رده .

يَصَّدَّعُونَ: يتفرقون إلى الجنة وإلى النار .

يَمْهَدُونَ: يوطئون مواطن النعيم .

إن الأبرار والفجار مختلطون ببعضهم في العالم الراهن ، وستأتي الآخرة لكي تفرز كلا هذين الصنفين من الناس فرزاً ، ويومئذٍ سيكون الإنعام الإلهي خالصاً للذين عاشوا في العالم الراهن ربانيين متجردين مخلصين دينهم لله وحده ، وأما الذين كانت اهتماماتهم ورغباتهم مرتبطةً بغير الله ، فإنهم سوف يُحرمون هناك من رحمات الله للأبد!

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

إن هبوب الرياح الباردة الندية قُبيل نزول المطر ، إعلان بأن إله هذا الكون إله ذو رحمةٍ واسعةٍ ، إن الملاحة البحرية لها أهميتها البالغة في بناء التمدّن ، ولكن الملاحة في البحر لا تكون ممكنةً إلا إذا ظلت الرياح في إطارٍ معينٍ محدودٍ ، وهكذا ، فإن الرحلة الجوية في عصرنا الحاضر هي الأخرى تعتمد إلى حدٍ كبيرٍ جداً على ذلك الغلاف الهوائي السميك الذي يحوط الأرض من كل جانبٍ ، وليس هذا إلا بتدبير من الله

العزيز الرحيم .

وإنما الغرض من كل هذه العناية والتدبير هو أن يعيش الإنسان عبداً شاكراً لله رب العالمين ، وما بُعث الأنبياء والمرسلون إلا لكي يلفتوا انتباه الناس إلى هذه الحقائق البالغة الخطورة ، فمنهم مَنْ آمنوا بهم ، ومنهم من كفروا بهم ، وعندها نصر الله المؤمنين ، ودمر الكافرين ، وسيُعامل كلا الفريقين هذه المعاملة في الآخرة على نطاقٍ أوسع وأشمل وأمم!

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

فَتُثِيرُ سَحَابًا : تحركه وتنشره .

وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا : قطعا متفرقة .

الوَدْقَ : المطر .

مِنْ خِلالِهِ : فُرَجِه ووسَطِه .

لَمُبْلِسِينَ: آيسين من نزوله.

فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا : فرأوا النبات مصفرا بعد الخضرة .

حين يختار المرء طريق الحق ، كثيراً ما يتعرض لصعوبات شديدةٍ تقصم ظهره، كما حدث مع الرسول - ﷺ - وأصحابه الكرام في فجر التاريخ الإسلامي ، ولكن لا داعي لليأس والقلق مهما أحيط المؤمن بظروف بالغة القسوة، فإن الله الذي هو رحيم لدرجة أنه إذا كانت الحقول والمزارع بحاجةٍ إلى الماء ، سقاها بتحريك النظام الكوني ، لينصرن السالكين في طريقه أيضاً بكل تأكيدٍ ، بيْد أن هذا النصر إنما يأتي بحسب تقدير الله نفسه ، ولهذا فليس ينبغي ، إذا تأخر مجيئه ، أن يمتلئ قلب المرء كآبةً أو يأساً .

إن حديث الله حديث أوضح وأقطع ما يكون برهاناً، على أنه لا يُوفق إلى الإيمان بحديث الله إلا الذي ينظر في الأشياء نظرة فاحصةً متعمقةً ، ويُصغي إلى الأحاديث بانتباهٍ حادٍ، والذي يخلو مزاجه من عنصر العناد والتعنت ، بحيث إذا فهم أمراً بادر إلى الإقرار به فوراً ، وإذا اتضح له كون طريقٍ ما صحيحاً ، سار عليه في الحال!!

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وَشَيْبَةً : حال الشيخوخة والهرم .

يُؤْفَكُونَ: يصرفون عن الحق والصدق .

وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ: لا يطلب منهم إزالة عتبه وغضبه تعالى عليهم – بالتوبة والطاعة .

إن الإنسان حين يولد يكون طفلاً غاية في الضعف ، ثم تليه سنوات عدة حافلةً بالقوة والشباب والحيوية ، إلى أن يفاجئه مرةً أخرى ضعف الكهولة والشيخوخة ، ومعنى هذا أن قوة الإنسان ليست ذاتيةً ، بل إنما هي معارة له لفترة محدودةٍ ، والخيار كله هنا بيد "المعطي" وحده ، فيُبقي عطاءه إلى متى شاء ، ويسترده متى يشاء !

وإنه لا يكاد المرء يهتم أو يكترث بأمر الآخرة في الحياة الدنيا ، ذلك لأن القيامة تبدو له شيئاً بعيداً ، بعيداً جداً ، كأنها ليست بواقعةٍ ، غير أن هذا ليس إلا جهلاً محضاً .. فإن القيامة يوم تقوم ، سيخيل إليه كأنه لم يلبث في العالم السابق غير برهةٍ يسيرةٍ من الزمن حتى وجد نفسه في العالم الآخر !!

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ : لا يحملنك على الخفة والقلق .

كان الناس في مكة يطالبون الرسول بأن يظهر لهم بعض الخوارق إن كان هو نبي الله حقاً ، غير أن طلب القوم هذا لم يلق الإجابة ، والسبب في ذلك أن الخوارق كانت غير مجديةٍ تماماً في تحقيق الهدف الأصلي المنشود ، فقد كان الإسلام يهدف إلى تغيير عمل الناس، وإنما يتغير العمل بتغير الفكر ، وليس بإدهاش الناس بخوارق العادات !.

ومن هنا نرى القرآن الكريم يركز كل التركيز على جوانب الاستدلال والإقناع وحده، فإنه يتوخى تغيير ذهن الإنسان عن طريق الدليل والبرهان ، ويبغي تأهيل المرء ليرى الواقعات من الوجهة الصحيحة ، ويتبنّى أحكاماً وآراء صائبةً سديدةً تجاه

القضايا والأمور الحياتية المختلفة.

والحقيقة هي أن مشكلة الإنسان الجوهرية تكمن في صحة الفكر، ولو أن المرء لم يكن قد أيقظ في نفسه الفكر الصحيح السليم ، لما منعه شيء ، حتى بعد مشاهدة المعجزات والخوارق ، أن يرفضها بدورها بترديد بعض الألفاظ الفارغة الحمقاء،كرفضه من قبل الأدلة والبراهين باللجوء إلى ألفاظٍ مماثلةٍ.

والطبع على القلوب لكون أصحابها من : "الذين لا يعلمون" ، يعني أن يُحال بينهم وبين إدراك الأمور بسبب انعدام الصحة الفكرية لديهم، والمرء إذا كان يعوزه القدرة على الحكم أو تكوين الرأي فإنه لا يستطيع رؤية الأشياء من وجهتها الصحيحة ، ومن أجل ذلك فهو لا يتمكن بطبيعة الحال من استخلاص التوجيه الصحيح المفيد لنفسه من دراسة الأشياء.

وإن العبد الذي ينهض بدعوة الحق الخالص النقي ، يواجه دوْماً برد فعلٍ مثبطٍ من قِبل الناس ، إذ الداعي يتحدث عن الآخرة وحدها ، بينما تكون أذهان المستمعين مشغولةً بالهموم والقضايا الدنيوية البحتة ، مما يجعل الناس يحتقرون الداعي أيّما احتقارٍ، ويحاولون الاستخفاف بشأنه والتقليل من أهميته من جميع النواحي ، حتى ليبدو حديث الداعي كأنه حديث تافه لا يقام له وزن ولا يستحق أن يُصغى إليه !.

وهذا الوضع ، كما هو ابتلاء بالنسبة إلى المدعو ، محنة للداعي كذلك ، وفي وقتٍ كهذا يجب على الداعي ألا يفقد ثقته ويقينه بدعوته ، فلو أنه فقد يقينه تحت ضغطٍ من الظروف ، واشتداد وطأة الأحوال ، فسيأخذ يتحدث حديثاً ربما يبدو ذا أهميةٍ لعامة الناس ، ولكنه سيكون كلاماً عديم الأهمية فاقد القيمة على الإطلاق عند الله – سبحانه وتعالى!!